عناصر و مناهج التنمية البشرية في الاقتصاد الإسلامي كنموذج للرفاه الاقتصادي

د/ محمد أحمد عمر بابكر
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الملخص :

يعالج هذا البحث موضوع التنمية البشرية من حيث المفهوم والذى يستبدله بمفهوم قرآنى هو مفهوم الحياة الطيبة . تبرز أهمية هذا البحث فى التنبيه على وجود مصطلحات أكثر ملائمة للمسلمين من حيث المفهوم والنظر إلى الدنيا . ويفترض أن مفهوم الحياة الطيبة أعمق من غيره وأفضل لشموله أمد الدارين وجمعه بين الروح والمادة . اتبع البحث المنهج الاستنباطى والمنهج التحليلى . ويتكون البحث من : مقدمة وثلاثة مباحث . يتناول الأول مفهوم التنمية البشرية من المنظور الإسلامى , ويعالج الثانى عناصر ومبادئ التنمية البشرية من المنظور الإسلامى , ويبين الثالث مفهوم الحياة الطيبة كنموذج للتنمية البشرية .

الكلمات الإرشادية: التنمية البشرية, العافية الحياة الطيبة, الحسنة, الزهد.

Abstract :

This research deals with human development concept which we substitute with Quranic concept , that is the concept of good life . Important of this research manifests in drawing attention to the existence of terms that are more suitable for Muslims in terms of concept and their view to the hereafter . The research supposes that the concept of good life is more deep and better than other concepts , because of its consistence of both times - hereafter and thereafter and by bringing together sole and matter . The research followed the deductive and analytical methodologies . The research composes of an introduction and three sections . First one deals with the concept of human development in Islamic perspective , while the second deals with the components and principles of human development in Islamic perspective . The third explains the concept of good life as a model of human development .

Key Concepts :

Human development , A'afia (good health) , good life , good deed , Zuhd.

مقدمة:

التنمية البشرية فى الاقتصاد الإسلامى تعمل وتؤكد على توجيه النفس وإرشادها وتهذيبها (ونفس وما سواها فأ لهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) الشمس (7–10). فالإسلام يهدف إلى تحصيل سعادة النفوس فى كلا الدارين عن طريق تغذية الروح بالإيمان . ووسائله فى ذلك : العلم وصحة البدن وأمن النفس . وقد عبرت عنه النصوص القرآنية والنبوية بوضوح . قال تعالى : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) النحل (97) . وقال : (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) إيلاف (4) .

وفى السنة : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) (الترمذى :2013 , ص 850) وقال : (من أصبح منكم آمناً فى سِرْبِه , معافى فى جسده ,عنده قوت يومه , فكأنما حيزت له الدنيا) (الترمذى :2013 , ص 860) وقال : (لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة) (الترمذى :2013 , ص 947).

وقد ورد اقتران العبادة بالرزق والطعام فى آيات متعددة ليدل على الاتصال وعدم الانفصال ، مثل قوله عز وجل : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أ ريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) الذاريات (56–57) وقوله : (وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) طه (132). وقوله: (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) إيلاف (3–4)

كما جاء أمن النفوس بمعناه الروحىوالبدنى . فمن الأول : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) الأنعام (82) ومن الثانى : (وآمنهم من خوف) إيلاف (4) وقال : (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا) القصص (57) وقال: (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم) العنكبوت (67) وقال أيضاً: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) النحل (112).

إن تنمية الروح وإشباع حاجة النفس والبدن هو ما يسعى إليه الإسلام لأنها وسائل لمقاصد هى عبادة الله وإقامة دينه وعمارة أرضه . وهذه الأخيرة هى وظيفة الإنسان

فى هذا الكون (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) هود 61 .

لقد افتتح تقرير التنمية البشرية للعام 1990م بهذه المقولة البسيطة والتى استرشدت بها جميع التقارير اللاحقة :

" الناس هم الثروة الحقيقية للأمة " (about human development) .

وبتأييد هذا التأكيد بمعلومات تجريبية غزيرة وأسلوب جديد من التفكير حول التنمية وقياسها ، كان لتقرير التنمية البشرية أثر عميق على السياسات حول العالم . الغرض الأساسى للتنمية هو توسيع خيارات الناس . ابتداءً إن هذه الخيارات يمكن أن تكون لا نهائية ويمكن أن تتغير مع الزمن. لقد قال مؤسس تقرير التنمية البشرية الاقتصادي الباكستانى المسلم محبوب الحق (1934 – 1998م):

"إن هدف التنمية هو خلق بيئة مواتية للناس للتمتع بحياة طويلة وصحية وخلاقة".

إن التنمية البشرية فى قول الاقتصادى الهندى الحائز على جائزة نوبل فى الاقتصاد أمارتيا سِن ، كنظرية تهتم بتعزيز غنى الحياة البشرية ، وليس غنى الاقتصاد الذى يعيش فيه الإنسان ، الذى هو فقط جزء منه (about human development) . وهذا عين ما يهدف إليه الإسلام ويهتم به . وسوف نرى ذلك بارزاً عند تفصيل مفهوم التنمية البشرية فى الإسلام .

المبحث الأول :

مفهوم التنمية البشرية : منظور إسلامي

كل مستحدث من أمور الدنيا فإن للإسلام فيه حديث ومقال (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) الأنعام (38) وإن صِيغ هذا الحدث أو أُلبس بزخرف القول . كما أن الألفاظ والمصطلحات الحادثة تُبنى على معانيها ووفق مقاصد واضعيها . والأمر فى الشريعة الإسلامية مبنىٌ على تحصيل المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها صيانة لمصالح الأنام . وعلى هذه القاعدة ، فكل ما حقق منفعة أو درأ ضرراً ، فهو مطلوب التحصيل . ويبرز من ذلك على التمكن ، الاهتمام بشؤون الناس الاقتصادية وأمورهم المعيشية ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة فى تأبير النخل: (أنتم أعلم بأمر دنياكم) (مسلم : 2000 , ص 1039) . وهذا أمر إنسانىعالمى لأنه قد وجد القبول والاستحسان من جميع الدول واستقروا على العمل به فى تحسين مستويات شعوبهم وتحقيق رفاهيتهم . وهو ما يؤدى إلى تنمية البشر . وهذا ما ألزم صانعى القرار العمل به .

وفق الرؤية المتقدمة لم يكن مصطلح أو مفهوم التنمية البشرية بارزاً حتى جاء محبوب الحق فأظهره ، فتظاهر الناس على متابعته .

وقد **عُرِّفت** التنمية البشرية على أنها :

"عملية توسيع خيارات وفرص الناس وتحسين رفاهيتهم . فالتنمية البشرية تتعلق بشأن الحرية الحقيقية التى يجب أن يقرر الناس العاديون من يكونون ، وماذا يفعلون ، وكيف يعيشون"(Measure of America) .

لقد ذهب محبوب الحق الذى أنشأ مفهوم التنمية البشرية و كان وزير مالية فى دولته باكستان ، إلى أن المقاييس الحالية للتقدم البشرى فشلت فى تحقيق الهدف الحقيقى للتنمية ، وهو تحسين حياة السكان . لقد فشل مقياس الناتج المحلى الإجمالى فى قياس الرفاهية بصورة كافية .

إن الاهتمام والمحور المركزى لنظرية التنمية البشرية هو مفهوم المقدرات . المقدرات هى ما يقدر الناس على فعله وما يقدرون أن يصبحوا ، هى الأداة التى يجب أن يمارسها الفرد : حياة ذات قيمة . تشمل المقدرات الأساسية :

1- صحة جيدة 2- والحصول على التعليم 3- ومستوى معيشى مادى لائق .

المقدرات الأخرى تدور حول الحياة الكاملة والتى تشمل القدرة على المشاركة فى القرارات التىتؤثر على حياة الفرد ، وامتلاك السيطرة (التحكم) على البيئة المعيشية / الحياتية للفرد ، والتمتع بالتحرر من العنف ، وامتلاك الاحترام الاجتماعى ، والراحة والمرح . على أن هذه المقدرات تتسع أو تضيق وفقاً للمجهودات الشخصية ومؤسسات وأحوال المجتمع . فأصحاب المقدرات الواسعة لديهم من الأدوات ما يحقق لهم " الحياة الطيبة " . أما من ضعفت مقدراتهم ، فتظل القوة البشرية عندهم غير محققة Measure (of America) .

إن نظرية المقدرات إطار معيارى يستخدم لتحليل الرفاهية ، يوظَّف أحياناً لفهم مشكلات التنمية . جوهر نظرية المقدرات أن الرفاهية يجب أن تُعرَّف بفرص الناس الحقيقية والفعلية لاتخاذ الإجراءات التى يرغبون فيها (أحياناً يطلق عليها المقدرات الوظيفية " Capabilities to Function" أو المقدرة على الأداء وعبر هذه الحريات ، يصبحون كما يرغبون أن يصبحوا (Measure of America) .

إن مصطلح التنمية البشرية يرجع إلى النمو الشامل والتغييرات التى تحدث خلال فترة حياة الإنسان ، من الحمل إلى الممات . إذ يقوم علماء نفس النمو بدراسة التغييرات الجسدية والعقلية أو الفطرية والاجتماعية التى تحدث ، وكذلك لماذا أو لماذا لا وكيف تحدث هذه التغييرات (What is Human Development).

بالرجوع إلى المفهوم الإسلامى للتنمية البشرية ، فإن إطلاق مفهوم التنمية على الأشياء يغلب عليه المادية فى استعمالاته اللغوية والاصطلاحية . وعندما ينضم إلى الإنسان ويقترن بالبشرية يشعِر بالمادية ويصبغ عالم الإنسان وبيئته بالحسية . إذ جاءت الشريعة بألفاظ روحية ومعنوية تركزعلى تغذية روح الإنسان وباطنه ، كأسماء العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ، وتلك المتعلقة بالقيم كلفظ التزكية . وقد جاء النهى عن تسمية العنب بالكَرْم لأن الكَرْم قلب المؤمن (مسلم : 2000 ،997،998) . لكن لا مشاحة فى الألفاظ بعد تبيُّن المعانى ، ولم تأت الشريعة بذم استعمال كلمة نمو أو تنمية . وقد استخدمها الفقهاء أكثر فيما يتعلق بالأموال والأعمال كما جاء عند القرافى (1994, 293/5) .

نفس هذا المصطلح قد نستخدمه مقترناً بمعنى أخلاقىروحى لِنُفْهِمَ به أشياء متعددة . وقد جرى عرف أهل العصر على إطلاق لفظ التنمية يقصدون نمو الاقتصاد وتنمية البلاد من حيث الإنتاج وتحقيق الضروريات والرفاهية وما يندرج تحتها . كما استعملوه ليدل على أشياء معنوية تتعلق بالإنسان كالعلم والمعرفة ، ومن ثم قالوا تنمية بشرية ، بمعنى أن مقصودها بناء الإنسانمن حيث تغذية فكره بالعلم وتحقيق متطلبات النفس من الصحة والدخل . ولكن ارتبط ذلك بالناتج المحلى مقيساً به حجم الحاجات ومدى كفايتها للإنسان والتى أطلقوا عليها اسم "الرفاهية" . إذاً قد اتسع المفهوم ليشمل جانب آخر مكمل ومهم للغاية , وهو الجانب الروحى أو النفسى , كما سيأتى تفصيله .

فى الإسلام تتحقق هذه الحاجات بنوع من السعىالإنسانى وطلب الكمال من الأدب القرآنى والهدى النبوى . لكن حدد الإسلام معالمه ووسائله ، فحدد المطالب الإنسانية وجعل لها أطرافاً وأواسط : حد أدنى وحد أوسط وحد أعلى ، من مطعم وملبس ومسكن وغيرها من ملذات ، وما زاد عليها مما هو مباح ومتاح .

أما الوسائل التى يتم بها تحصيل هذه المطالب والمقاصد حتى تتم بها سعادة الإنسان وتتحقق بها حيا ته الطيبة ورفاهيته فهى : العافية من صحة البدن والمال والأمن

فى النفس والأهل والولد . وهذه وسائل حسية ينضم إليها وسائل معنوية تكمِّلها وتجمِّلها وهى الآداب النفسية والأخلاق الروحية من القناعة والرضا بقسم الأرزاق وتحلية ظاهر البدن(الآداب النبوية).

إن تحقيق التنمية البشرية لا يتم على الكمال إلا فى ظل حريات متسعة تشمل جميع جوانب حياة الفرد المسلم وتراعى مقدراته وميوله الخلقية والفطرية . يتضمن ذلك حريته فى العبادة بضوابطها الشرعية ، وحريته فى اختيار الزوجة ، وحريته فى امتهان ما يريد من العمل اللائق به والمتفق مع قدراته ، وحريته فى الحصول على التعليم ، وحريته فى اتخاذ القرارات المتعلقة بمصيره وإبداء الآراء فى الشؤون العامة ما دام صادراً عن علم ، وحريته فى التملك , وغير ذلك .

وقد كفل الإسلام له جميع ذلك ، فقال فى أعلى مطالب النفس الروحية (لا إكراه فى الدين) البقرة (256) وقال فى العبادة : (إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) العنكبوت (56) وقال فى حرية العمل (يضربون فى الأرض) المزمل (20) و(فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) الملك (15) وقال فى الزوجة : (فانكحوا ما طاب لكم) النساء (3) وقال فى الولد: (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) البقرة (187) وقال فى العلم : (وقل رب زدنى علماً) طه (114) و (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) الإسراء (85) .وقال فى إبداء الرأى : (وقل الحق من ربكم) الكهف (29) وقال (ادع إلى سبيل ربك) النحل (125) وقال : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) فصلت(33) .

على أساس ما تقدم , فإن الإسلام يبنى الإنسان وينميه وفقاً لما يريده منه خالقه مزوِّداً له بما يعينه على أداء وظيفته فى الكون (أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) هود 61 وهذه هى الرؤية الكونية للإنسان وعلاقته بالأرض بحسب المفهوم الإسلامى (إنى جاعل فى الأرض خليفة) البقرة (30) .

يكتمل التمتع بالملاذ والطيبات المتقدم ذكرها بوجود أمرين : الأول : طول العمر – مع صحة وقوة بدن ، والثانى : المال (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) طه (120) . وقد عبر الحديث عن ذلك أحسن تعبير, فقال صلى الله عليه وسلم : (يهرم ابن آدم ويَشِبُّ منه اثنتان : الحرص على العمر ، والحرص على المال) (الترمذى : 2013 ص 858) وإن أقر الإسلام هذا الحب لطول الحياة وكثرة المال (الترمذى :

2013 ص 858) بحكم الفطرة والجبلة ، إلا أنه ذم الحرص عليهما من غير انتفاع صحيح بهما ، حيث وصف ذلك بالغبن لعدم استغلال نعمة الصحة والفراغ (الترمذى : 2013 ص 850) الاستغلال الأمثل ، لأنهما رأس مال الإنسان فى هذه الحياة الدنيا . وإنما مدح من يستخدمهما فى الطاعة فرفع مقام المال والعلم اللذين يكون فيهما التنافس المحمود الموصوف بالحسد، أى حسد الغبطة (الترمذى : 2013 ص 753) . فإنفاق المال ونشر العلم هو السلوك المرضى فى استعمال النعم بوضع منافع الموارد البشرية (التعليمية) والموارد المالية فى أحسن استخداماتها . وقد ذم القرآن أقواماً ليس لهم هَمّ من امتلاك العنصرين – المال والحياة (العمر) إلا مجرد الاستمتاع والصد عن سبيل الله . فقال تعالى : (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) الأنفال (36) . وقال : (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) البقرة (96) .

فهؤلاء قوم قد اتسعت عندهم حريات الأمانى فجعلوا خيارات أفعالهم وقراراتهم ، تحصيل مقاصد النفوس الخسيسة ومن غير نظر إلى مآلات هذه الأفعال ولا ما يترتب عليها من آثار – وهذا ما يعانيه العالم اليوم – لأنهم لم يعتبروا الزمان الآجل الذى هو آت – وهو زمان الدار الآخرة الذى يكون فيه تصفية الأعمال وتمييز االخبيث من الطيب . وعلى هذا ربَّى الإسلام المتبعين له تنمية لأبدانهم وتزكية لأرواحهم . وسيأتى لهذا المفهوم مزيد تجلية عند الكلام عن العناصر .

من الممكن على ضوء ما تقدم , صياغة تعريف لمفهوم التنمية البشرية بالمنظور الإسلامى ، فنقول هى :

"القدرة على الحصول على المطالب الحسية، والمطالب النفسية من غير معوق، وممارسة الحياة بحرية وصفاء فكر من غير خوف ولا هَمّ، وفق الضوابط والمبادئ الإسلامية".

يتضمن هذا التعريف الضروريات من المطعم والملبس والمسكن والعمل والدخل الكافى ، فيما يخص المطالب الحسية . كما يتضمن الأمن فى النفس والأهل والولد والمال وحرية العبادة وحرية الاختيار فيما يتعلق بالمطالب النفسية .

يتلخص من هذا المفهوم بمنظوره الإسلامى أن الإسلام يعمل على صياغة إنسان متوازن داخلياً وخارجياً لكى يؤدى وظيفته على أقدر ما يكون . وأن الوسائل

المعينة له على ذلك متاحة بصورة تلقائية من غير عائق لأنها مندرجة تحت حقوقه كإنسان وواجباته كمسلم .

المبحث الثانى :

عناصر التنمية البشرية ومبادؤها : منظور إسلامى

مجموع هذه العناصر التىستأتى تهدف إلى بناء الإنسان وتمكينه من أداء وظيفته . وقد جُمِعت فى ثلاثة أحاديث , هى مدار مرتكزات التنمية البشرية :

الحديث الأول : " من أصبح منكم آمناً فى سِرْبه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا " (الترمذى : 2013 ص 860) .

الحديث الثانى : " ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال : بيتٌ يسكنه ، وثوبٌ يوارى عورته ، وجِلْف الخبز والماء " (الترمذى : 2013 ص 858) .

الحديث الثالث : " من ولِيَ لنا شيئاً فلم تكن له امرأة فليتزوج امرأة ، ومن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكناً ، ومن لم يكن له مركب فليتخذ مركباً ، ومن لم يكن له خادم ، فليتخذ خادماً "(أبو عبيد القاسم : 1986 ص 279).

فى هذه الأحاديث الثلاثة فوائد اقتصادية عامة :

1- حيازة الدنيا، أى جمعها ، لمن ملك ضروريات عيشه . (الحديث الأول) .

2- حق الإنسان فى تحصيل ضروريات معيشته . (الحديث الثانى) . على تفسير الحق بما يستحقه الإنسان(المباركفورى : 2001 ، 5/7) .

3- مسؤولية الحاكم (الدولة) عن توفير الضروريات بل والحاجيات للعاملين فى الدولة. (الحديث الثالث).

بالجملة فإن العناصر المكونة لمتطلبات التنمية البشرية تشتمل على :

1- الضروريات : والتى تشتمل بدورها على :

أ- المطعم

ب- الملبس

ت- المسكن . وهى تمثل المطالب الحسية والتى بها دوام بقاء الإنسان حياً تحقيقاً لمقصد حفظ النفس .

ث- العافية وصحة البدن

ج- الأمن فى النفس والأهل والولد . وهى من المطالب النفسية أو المعنوية .

2- الحاجيات : والتى تضمنت :

أ- الزواج أو تكوين الأسرة ، بحسب ظاهر الحديث مع اختلاف الفقهاء فى أصل حكمه.

ب- الخادم

ت- المركب ، من دابة أو سيارة أو أى وسيلة نقل .

هذه المتطلبات الحاجية جميعها خادمة للصنف الأول المتضمن للضروريات ومهيئة لها . وبالنظر إلى جملة العناصر ، فإنها تتسم بالعفوية والتلقائية فى تحقيقها ونيلها ، لأنها من المسلمات فى الشريعة الإسلامية .

فى هذا الجانب يدخل الإسلام عناصر لم يُنَصّ عليها فى أدبيات التنمية البشرية فى الأمم المتحدة ، كالأمن النفسى وتحصيل الزوجة والخادم ووسيلة التنقل . وذكر هذه الأمور على التخصيص يدل على أهميتها فى تهيئة بيئة عمل صحية وملائمة . ولا شك أنها عامل استقرار لممارسة الرجل نشاطه الحياتى من غير صارف أو معوق يعترضه .

1/2 المنظور الإسلامى لعناصر التنمية البشرية الثلاثة :

عالمياً , فإن هذه العناصر محددة بثلاثة , هى: – الصحة والتعليم والدخل حيث يتفق معظم الناس على أن الحياة الطويلة والحصول على التعليم والمستوى المعيشىالمادى اللائق ، هى أحجار البناء الأساسية للرفاهية والفرصة (Measure of America) .

لِنُعْطِ هذه العناصر الثلاثة حظها من المناقشة .

أولاً : الصحة :

قيل إن أعظم مقدرة ذات قيمة يمتلكها الناس ، هى أن يكونوا أحياءً . بمعنى أن يعيش الناس حياة طويلة وصحية تخلو من الموت المفاجئ أو غير المواتى بسبب مرض أو جراح ، إضافة إلى التمتع بالحماية من الحرمان العشوائى من الحياة ، وأن يعيشوا فى بيئة صحية وأن يحصلوا على أعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية Measure (of America) .

(أ) الصحة وطول العمر فى ميزان الإسلام :

أ-1 الصحة : العافية واكتساب قوة الطاعة

يوجه الاقتصاد الإسلامى أفراد المجتمع المسلم بغرس السلوك القيمىفى استهلاكهم بأن يقصدوا به الإبقاء على البدن سليماً من العلل والآفات للتمكن من عبادة الله (عمر: 2005،ص 20). فهدفالمستهلك المسلم هو تحقيق أقصى منفعة من استهلاكه ،

وهو هدف الدار الآخرة ، التىهى السعادة الحقيقية.وهو ما أبرزه الإمام الغزالى بقوله : " ولا يطمعن أحد فى سلوك طريق السعادة قبل أن يراعى أمر المطعم فى مقداره ووجه حله "(عمر : 2003 ، ص 68) .

إن الإسلام يُضَمِّن العافية كمكون رئيسى للتنمية البشرية كما نص عليه فى الحديث ويعطيها وزناً وبعدا زمانياً يمتد إلى زمان الآخرة (الترمذى : 2013 ص 1172) . والعافية هى الحسنة المرغَّب فى الدعاء بها على أحد التأويلات فى قوله تعالى : (آتنا فى الدنيا حسنة) البقرة (201) . (ابن جرير : 203/4) . وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : (اللهم عافنىفىجسدىوعافنىفى بصرى واجعله الوارث منى) (الترمذى : 2013 ص 1163) . والمقصود بالعافية المعافاة من الخذلان ومن الإصابة بالشدائد والبلاء والمكاره (الحكيم الترمذى : 2010 ، 171/2) . فصحة البدن هى المقصودة لأجل الطاعة ، ولا يتم ذلك إلا بكفاية الدخل (المباركفورى : 485/6) .

أ-2 **الصحة البدنية والبيئة المعيشية :**

توفير صحة خالية من الأمراض وبيئة معيشية نظيفة ، مما اعتنى به الإسلام .

فمما يتعلق بصحة البدن : وضع اليد على الفم عند التثاؤب وخفض الصوت وتغطية الوجه عند

العطاس (الترمذى : 2013 ص 961) والعمل بسنن الفطرة العشر : المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وإعفاء اللحية وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء والختان (عبد الوهاب : 1998 ,576/2-577) وغسل اليد قبل الطعام وبعده وعدم المشىفى نعل واحد وعدم النفخ فى الطعام والشراب (عبد الوهاب : 1998 ، 2 /582،586،583) وغير ذلك من الآداب والسنن .

أما ما يتعلق بالبيئة المعيشية : فمنها داخل المنزل ومنها خارجه . فمن داخل المنزل : تغطية الطعام والشراب وإكفاء الإناء وإغلاق الأبواب وإطفاء السراج (الأنوار) (عبد الوهاب : 1998 ، 2 /585، الترمذى : 2013 ص 985) كل ذلك حفظاً للنفس والممتلكات من التلف . وأما خارج المنزل : فعدم ترك اللقمة إذا سقطت وإماطة ما عليها من الأذى (الترمذى : 2013 ص 723) وهذا يشمل داخل المنزل كذلك . والمعنى فيه وفى النهى عن البول فى الماء الراكد أو الدائم سوى ما ذكروه من النظافة (الخطابى :

2010 ، 64/1 ، ابن بطال : 2003 ، 360/1 ، 361) ، احترام الإنسان لما يقوم به بدنه وعدم إهدار المورد الغذائى أو إساءة استعماله ، لتفادى حدوث الندرة .

(ب) طول العمر :

يؤكد الإسلام على أن خيرية طول العمر مرتبطة بحسن العمل (الترمذى : 2013 ص 856) وأن غالب عمر الأمة ما بين الستين إلى السبعين (الترمذى : 2013 ص 856) . فلا ينفع طول عمر من غير استخدام أوقاته فى طاعة الله . وقد استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من الهرم الذى هو الزيادة فى كبر السن (ابن حجر : 176/11) لأن ذلك مظنة العجز عن الطاعة ولذلك جاء مقترناً بالاستعاذة من العجز والكسل (ابن حجر : 176،177/11) . كما استعاذ من أن يُرَد إلى أرذل العمر (ابن حجر : 182/11) .

على هذا الأساس يربى الإسلام المتبعين لدينه تنبيهاً لهم على زوال متاع الدنيا مهما طال وليكون على استعداد لدار أخرى ممتدة الآجال . وعندما تمنت أم حبيبة أن يمتعها الله بزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لها : " قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة ، لن يُعَجِّلَ شيئاً قبل حِلِّه ، أو يؤخر شيئاً عن حِلِّه ، ولو كنتِ سألت الله أن يُعيذكِ من عذابٍ فى النار ، أو عذاب فى القبر ، كان خيراً لك " (مسلم : 2000 ، ص 1160) .

ثانياً : التعليم

وهو بلا ريب عنصر مهم وضرورى من عناصر التنمية البشرية ، وقد جاء اهتمام الإسلام به معظماً لمكانته فى القرآن والسنة . غير أن الإسلام ينبه على مكانة العلم الأخروى الذى هو ضرورىفى تكميل نظام الدنيا ، لأن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا (عمر : 2003 ، ص 55) . بل من جملة الأسباب المؤدية إلى البطالة ،إغفال التعلُّم والتدريب على الحرف ، بسبب عدم الاهتمام به منذ الصغر (عمر : 2003 ، ص 82) . وفى الحديث : (من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب) (الغزالى : 2013 ,ص 14) .فالعلم مهم فى تكوين الإنسان وصياغته ، من حيث أنه ، على حد تعبير الغزالى ، يخرج الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية (الغزالى : 2013 , ص 20) .

للعلم فى الإسلام ثلاثة مبادئ أساسية عليها يسير نظام المجتمع :

1- إتاحة العلم للجميع من غير حجر على أحد (وقل رب زدنى علماً) طه (114) .
2- الحرص على تعليم النساء ليقمن بِدَوْرِهِنَّ تجاه المجتمع (ابن بطال : 2003 ، 169/1) .
3- عدم تعارض العلم مع اكتساب الرزق ، كما فى شأن عمر والأنصارى (ابن بطال : 2003 ، 157/1) .

وفى الحديث :" من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين " . قال ابن بطال : فيه فضل العلماء على سائر الناس ، وفيه فضل الفقه فى الدين على سائر العلوم . إنما ثبت فضله لأنه يقود إلى خشية الله والتزام طاعته وتجنب معاصيه (2003 ، 139/1) .

ثالثاً : الدخل :

ويشار إليه فى القرآن والسنة بالمال والقوت والرزق والكسب والأجر والعُمالة ، وبعضها لم يرد إلا فى السنة . وقد مَرَّ عدم التعارض بين تحصيل العلم واكتساب الدخل . لأن المقصود بتحصيل الدخل ، الكفاية للنفس والعيال (عمر : 2003 ، ص 53) كما تقدم فى حديث عافية البدن والأمن فى النفس . وعمدة الدين فى اكتساب الأرزاق ، التوكل الذى به تمام التوحيد . وقد كان أَخَوَان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، أحدهما يأتىالنبى صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبى صلى الله عليهوسلم، فقال : " لعلك تُرزقُ به " (الترمذى :2013 ، ص 859) . والمعنى أنه شكا أخاه فى طلب العلم وقعوده عن مساعدة أخيه فى حرفته وفى كسب آخر لمعيشته ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أرجو وأخاف أنك مرزوق ببركته لأنه مرزوق بحرفتك ، فلا تمنن عليه بصنعتك (المباركفورى : 2001 ، 8/7) .

تبين بذلك أن العلم غذاء العقل والروح وخادم للصحة، والصحة غذاء البدن، والدخل أو المال وسيلة لتحصيل العلم والصحة.

ما تقدم يُظهر التباين الواضح والكبير بين مفهوم التنمية البشرية وعناصرها فى الاقتصاد الإسلامى وما تعارف عليه العالم اليوم ، خاصة من حيث الأهداف والغايات.

2/2 مبادئ وأهداف التنمية البشرية فى الاقتصاد الإسلامى :

استنباطاً مما تقدم ، فإن التنمية البشرية فى الإسلام تقوم على المبادئ التالية :

1- العقيدة الصحيحة ، ونعنى بها توحيد العبد ربه بالتوجه الخالص إليه فى جلب النفع ودفع الضر والتحرر من الشرك (عمر : 2005 ، ص 45) .

2- الصياغة الروحية للإنسان بتهذيبه وتزكيته ومراعاته من حين ولادته إلى مماته.

3- البعد الأخروى ، وذلك بربط حركة المسلم وأفعاله بغاية الدار الآخرة .

4- الإدماج الكامل لكل أفراد المجتمع ، من الصغار والكبار والرجال والنساء .

أما الأهداف فتتلخص فى تحقيق الحياة الطيبة ، وهو مفهوم أعمق وأشمل من مجرد تحقيق الرفاهية والتنمية البشرية . وسيأتى الكلام عليه .

3/2 مؤشر التنمية البشرية : منظور إسلامى

أُنشِئَ مؤشر التنمية البشرية لتأكيد أن الناس ومقدراتهم يجب أن تكون هى المعيار النهائى لتقييم تنمية دولة ما ، وليس النمو الاقتصادى وحده (Human Development Index) . مؤشر التنمية البشرية هو مقياس ملخص لمتوسط الإنجازات فى الأبعاد الرئيسية للتنمية البشرية ، حياة طويلة وصحية ، والحصول على التعليم ، وامتلاك مستوى معيشى لائق (Human Development Index).

مؤشر التنمية البشرية عبارة عن مركَّب أو هيكل إحصائى لمؤشرات توقع الحياة ، والتعليم ، والدخل ، يُستخدم لترتيب الدول فى أربعة إطارات للتنمية البشرية . أُنشئ هذا المؤشر بواسطة محبوب الحق الباكستانىوأمارتيا سِن الهندى سنة 1990م . وصدر بواسطة برامج الأمم المتحدة للإنماء (Wikipedia :Development Index Human). وقد كان لهذا المؤشر هدف صريح هو تحويل تركيز اقتصاديات التنمية من حساب الدخل القومى إلى سياسات ترتكز على السكان .أى من التركيز على الاقتصاد إلى التركيز على رفاهية الإنسان.

هذا المؤشر بأبعاده الثلاثة ، هو عين ما يهتم به الإسلام كما تقدم مفصلاً .غير أن الإسلام سابق فى اعتبار هذه الأبعاد لأنها وسائل معينة على أداء الإنسان وظيفته فى الأرض . لكن فوق ذلك يضيف الإسلام قيمة للإنسان باهتمامه بالجانب الروحى منه . إذ لا معنى لتحقيق مطالب حسية فى غياب التربية الأخلاقية والروحية . وقد جمع الإسلام بينهما ليعزز بذلك مكانة الإنسان فى الأرض ووجوده فيها .

1/3/2 تقويم الأبعاد الثلاثة:

لِنَعْرِض الآن هذه الأبعاد لنرى كيف تُقَوَّم ، ثم نعقب عليها ببيان المبدأ الإسلامىفى تقويمها . على أننا سندخل أبعاداً معنوية غير محسوسة ذات تأثير واضح فى تقييم التنمية البشرية , نؤخر الكلام فيها عند التعرض لمفهوم الحياة الطيبة .

أولاً : البُعد الصحى :

يُقوَّم البُعد الصحى بواسطة توقع الحياة عند الولادة كمكون لمؤشر التنمية البشرية، حيث يحسب كقيمة دنيا من 20 سنة وقصوى ب 85 سنة (Human Development Index).

وهذا يختلف بحسب حال كل أمة وازدهارها ووفرة عيشها وهو مما لا تنكره الشريعة من حيث أنه يقوم على تنبؤات تعتمد على تجارب ومشاهدات . قال تعالى : (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) ثم قال: (... تزرعون سبع سنين دأباً ...) يوسف, الآيات (45-49). وقال تعالى : (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) آل عمران (49) .

غير أننا نختار حدَّيْن غير هذين لهما أساس فى الشريعة . الحد الأدنى الذى نختاره هو ثمان عشرة سنة (18 سنة) والحد الأعلى خمس وستون سنة (65 سنة) . أما اختيار الحد الأدنى بثمان عشرة ، فمؤسس على السن المعتبرة شرعاً فى تحديد البلوغ والذى اختلف فيه على أقوال : فمنهم من قال : سبع عشرة أو ثمان عشرة ، ومنهم من قال أنه : تسع عشرة سنة ، ومنهم من قال أنه : خمس عشرة (عبد الوهاب : 2007 ، 226/1 ، 227) . فاخترنا الأوسط منها . وبالعدول إلى هذا السن وهو سن التكليف ، لأنه مؤشر على إطاقة العبادة والقدرة على القتال وتحمل المشاق . إضافة إلى أنه سن تبرز فيه الحاجات الحسية والروحية على نحو أوضح ، وهو ما يمكن حسبانه كمؤشر للطلب .

أما الحد الأقصى فهو منتزع مما جاء فى أعمار الأمة ، والذى معناه : أن آخر عمر الأمة ابتداؤه إذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة وقل من يَجُوز سبعين ، وهو محمول على الغالب (المباركفورى : 2001 ، 513/6) . وفى الحديث الآخر (أعذر الله إلى امرئٍ أخَّر أجله حتى بلَّغه ستين سنة) (ابن حجر : 238/11) . قيل : ذَكَر الستين لأنها قريبة من المعترك وهى سن الإنابة والخشوع وترقب المنية (ابن حجر : 240/11) . فبناء على الوسط الذى أشار إليه الحديث بالبينية ، اخترنا سن الخامسة والستين . فيكون الحد الأدنى بداية لحياة الفرد وقوته ، والحد الأعلى نهاية لحياته وضعف قوته . على أن الحد الأعلى المذكور وهو الخامسة و الثمانون غير مرغوب فيه إسلامياً ، لأنه يدخل فى الحد المستعاذ منه وهو الهرم وأرذل العمر .

ثانياً : البُعد التعليمى :

يقاس المكون التعليمى بمتوسط سنوات الدراسة للبالغين عند سن 25 سنة ، وتُقدر سنوات الدراسة المتوقعة للأطفال عند سن دخول المدرسة ، بحسب المعهد الإحصائى لليونسكو ، عند سن الثامنة عشر (18 سنة) . (Human Development Index). وبخلاف هذا المتوسط ، يستخدم المؤشر الأمريكى التحصيل التعليمى ، وهو مؤشر أكثر طلباً (Measure of America) .

فى هذا المكون قد لا يقع اختلاف ذو بال ، بل نجد من السيرة الإسلامية لعلماء الأمة ما يسند الرأيين ويوفق بينهما . ونختار من ذلك أمر عائشة رضى الله عنها لسببين: أحدهما : مباشرتها العلم من صاحب الوحى ، والآخر : صغر سنها وملاءمته لطلب العلم . ينضاف إلى ذلك تحصيلها العلمى الكبير الذى أجمع عليه علماء عصرها ، فقد تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وهى بنت ست وبنى بها وهى بنت تسع ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة (النووى:2003 ، 217/5،ابن حجر: 2012 ، ص 1917، 1918).أى أنها مكثت عنده تسعاً (الكرمانى: 2010 ، 328/9). وكانت عائشة قد شبت شباباً حسناً (النووى :2003 ، 5/ 216) .

قد حصل فى حال عائشة إذاً ، اجتماع فائدتين فيما يتعلق بالمؤشر التعليمى: الأول : انتهاء تلقيها العلم بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم وسنها ثمان عشرة ، وهو ما يوافق السن المحدد دولياً كما مرَّ . ونفس هذا السن يتفق مع ما اخترناه من سن توقع الحياة ، وهو ما يؤكد أسبقية الإسلام وعظيم اهتمامه بتنمية القوى البشرية للأمة الإسلامية . والثانى : أن متوسط الدراسة للصغار هو تسع سنين ، وهو نصف الثمان عشرة . وإذا اعتبرنا بسن السادسة لدخول المدرسة كما فى سن عائشة عند الزواج بها وضممنا ذلك إلى سنوات مكثها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تسع ، كمل العدد خمس عشرة سنة ، وهو ما يوافق السلم التعليمى للمدرسة المتبع فى الدول أو فى غالب الدول اليوم بما فيها الدول الإسلامية . وبضم الثلاث سنوات كحد أدنى للسلم التعليمى للجامعة تتم السنوات ثمان عشرة وهو الموافق للسن الذى انتهت إليه عائشة ، والتى بمقاييس العصر بلغت من العلم ما تستحق به أعلى الشهادات والألقاب العلمية : قال الزهرى : لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . وقال عطاء : كانت أفقه الناس وأعلم الناس . وقال مسروق : رأيت مشيخة

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض (ابن حجر : 2012 ، ص 1918) .

على أن المعتبر هو العلم الأخروى كأساس لنهضة الأمة ، فكيف إذا انضم إلى ذلك العلم الدنيوى الذى هو مطلوب لأجل مصالح الدنيا والآخرة ، وهو ما اجتمع فى عائشة التى كانت أعلم بالطب والشعر (ابن حجر : 2012 ، ص 1918) . هذه السيرة لو اتُبِعت لكانت كافية فى بناء الأمة واستعادة مجدها .

ثالثاً : البُعد الدخلى :

يقاس بُعد المستوى المعيشى بالدخل القومىالإجمالى للفرد ، والذى يقع بين حدود دنيا تقدر ب 100 دولار وقصوى ب 75 ألف دولار بحسب تساوى القوة الشرائية . لا ينعكس مؤشر التنمية البشرية على اللامساواة، والفقر، والضمان البشرى (على النفس) ، والتمكين ، إلخ (Human Development Index) .

هذا هو التقدير الكمى المحدد دولياً بواسطة مؤسسات الأمم المتحدة ، إلا أن الاقتصاد الإسلامى يتجه إلى التحديد بالكفاية من المستوى المعيشى اللائق بحسب اختلاف الأشخاص والأحوال والأماكن من حضر وبادية.وهذا يعتمد على المستوى المعيشى للفرد ومستويات التنمية فى كل دولة (عمر: 2005، ص26، عمر: 2003، ص70).

ينبنى حد الكفاية على مؤشرين : جزئى وكلى . فالجزئى يتعلق بنفقة الرجل على أهله (أسرته) ، وهى محددة بالكفاية بحسب حال الزوج من اليسر والعسر، فى قول الجمهور(عبد الوهاب : 1998، 523/1). والكلى يتحدد بمؤشر أداء الزكاة الذى يحدد مستوى الفقر ، حيث تعمل الزكاة على تحسين المستوى المعيشى وتحقيق الرفاهية وإزالة الفقر.

ما تقدم ينتهى بنا إلى صياغة إسلامية لمفهوم التنمية البشرية, فى لفظ واحد جامع, نطلق عليه: " مفهوم الحياة الطيبة " اقتباساً من القرآن الكريم .

المبحث الثالث :

مفهوم الحياة الطيبة: نموذج للتنمية البشرية

لقد جمع لفظ الحياة الطيبة معانى أعمق من غيره , لأنه يشير إلى ثلاثة أشياء : وجود ووعد وغاية. فالوجود الحياة والتى لا تكون إلا للإنسان المستخلف فى الأرض , والوعد طِيب عيشه فيها , والغاية العمل الصالح ودخول الجنة .

إن الإنسان خُلق لأجل العبادة ، و مُدَّ فى هذه الأرض بجميع ما يحتاج إليه تسهيلاً لمهمته . وقد وُعِد بالحياة الطيبة إن عمل بما أُمِر . قال تعالى : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل (97) .

إن مبنى الحياة الطيبة على العقيدة الصحيحة المنبعثة من إيمان المسلم بأن الله:

- هو الخالق الرازق والمحيى والمميت والنافع الضار.
- وأن كل حركة وسكون بيده سبحانه وتعالى يقلب الأمور كيف يشاء .
- قد وعد عباده المتقين بسعادة الدارين .

يترتب على هذا الإيمان آثاره من نسبة الشدائد والمصائب والأزمات الاقتصادية إليه , والغنى والخصب والرخاء كذلك , واجتهاد العبد فى طاعة ربه للفوز بجنته . هذه التربية الروحية للإنسان المسلم صياغة حقيقية للنفس لتستديم حياتها الطيبة فى جو إيمانى وفى قالب من السعادة , عبادةً وإخباتاً وتصرفاً وتقلباً , على هيئة متوازنة تكون به مستقرة ومطمئنة , فلا تأسى على ما فات ولا تفرح بما أُوتيت . (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) الأعراف (188) قيل هو ادخاره صلى الله عليه وسلم من وقت الخصب والرخاء إلى وقت الشدة والفاقة . هذه الحياة الطيبة التى يريدها الإسلام للمسلم , تهدف إلى بلوغ الكمال وتحقيق الوسطية وتمام القوة مع العمل على تحسين الحياة بتحقيق رفاهية العيش وتحصيل حسنة الدنيا والآخرة بالاستقامة واستدامة الدعاء (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) البقرة (201) .

على أن حياة البشر ترتكز على أن لها امتداداً إلى زمان الدار الآخرة الذى يكون فيه السعادة الأبدية لأهل الجنة من المؤمنين . فيتنمَّى هنا الحس الإيمانى بالبعد الأخروى الذى يجازى فيه على أعماله من الخير والشر من حسنات وسيئات . فهو يعمل على تنمية نفسه البشرية بالتزكية الروحية والتغذية المادية لتطيب حياته فى الدنيا لأجل التهيؤ لحياة طيبة لا تنقطع فى الدار الآخرة .

قد فسر العلماء الحياة الطيبة بما يمكن اعتباره عين مفهوم التنمية البشرية لما تضمَّن كلامهم من عناصرها الجامعة بين مطالب البدن ومطالب الروح . فقد فسروها بعدة أقوال ليس بينها اختلاف فى المعنى , فقالوا الحياة الطيبة هى :

- الرزق الحلال

- القناعة
- السعادة
- العمل بالطاعة
- الجنة (ابن عطية : 2007 ، 406/5 , القرطبى : 2006 , 12 / 423,424 , ابن كثير : 1999, 4 / 602).
- قال ابن كثير : والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه). قال: والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أى جهة كانت (1999, 602/4).

وقال ابن عطية : إن طيب الحياة اللازم للصالحين إنما هو بنشاط نفوسهم ونبلها وقوة رجائهم , والرجاء للنفس أمر مُلِذّ , فبهذا تطيب حياتهم , وبأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم ، فإن انضاف إلى هذا مال حلال وصحة أو قناعة فذلك كمال (2007، 406/5) .

الحياة الطيبة إذاً , أن يستديم المسلم عبادة ربه متقلباً بين الشدة والرخاء , غير منصرف إلى همّ العيش ولا ملتفت إلى تقلب الحياة كما هو حال أهل النفاق (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمالِ هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) النساء (78) . لكن مع ذلك لابد للمسلم من جلب المنافع لنفسه وتحصيل وجوه السعادة , ودفع المضار عنها وحسم الآلام . وهو عين الحسنة المدعوِ بها فى قوله تعالى : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) البقرة (201). وهذا ما يستدعى الكلام عليها. إذ يتفرع عن الحياة الطيبة, الدعاء بتحقيق (الحسنة).

1/3 مفهوم الحسنة ومفهوم التنمية البشرية :

الحسنة اثنتان : حسنة الدنيا وحسنة الآخرة . أما حسنة الآخرة ، فاتفق المفسرون على أنها الجنة . وأما حسنة الدنيا , فجمعت عناصر وأبعاد التنمية البشرية كما فى مفهوم الحياة الطيبة ومفهوم التنمية البشرية فى الاقتصاد الإسلامى . فَفُسِّرت بالعافية وبالعلم والعبادة وبالرزق الطيب وبالمال . قال ابن جرير : قد تجمع الحسنة من الله عز وجل العافية فى الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك (2008 : 4 /203 ,204 , 205 , 206) . وفسرها ابن كثير بمعنى جامع غزير , فقال : الحسنة فى الدنيا تشمل كل

مطلوب دنيوى من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة وولد بار ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنئ وثناء جميل ، إلى غير ذلك (ابن حجر : 11 /192) . فالحسنة إذاً , تحسين الحياة لتكون طيبة . لكن ما مؤشرات كونها طيبة ؟ فقد يتوفر للإنسان الوسائل المادية من الطيبات, ولكن تغيب عنه راحة القلب وطيبة النفس. هذا ما نبينه فى المؤشرات المعنوية

2/3 المؤشرات المعنوية فى قياس الحياة الطيبة(التنمية البشرية):

من المؤشرات المعنوية القوية فى قياس التنمية البشرية بالمفهوم الإسلامى , غنى النفس وتوجيه الفقر . لأن الغنى والفقر لهما أبعاد معنوية تفصح عن حقيقتهما . وإن قلنا أن مؤشرات الأمن والطمأنينة والعافية إيجابية , فإن مؤشر غنى النفس وتوجيه الفقر من المؤشرات السلبية فى حق من يوجد فيه نقيضهما .

1/ مؤشر غنى النفس :

جاء فى الصحيح : (ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، ولكنَّ الغنى غنى النفس) (مسلم : 2000، ص 422) . قال تعالى : (تريدون عرض الدنيا) الأنفال (67) . وفى الحديث : " إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب " . والمعنى فيه : ذم الحرص على المال والاجتهاد فى الزيادة منه , ومدح القناعة والرضا بما قسم الله , وهو غنى النفس الحقيقى (ابن حجر : 11 /272) . كما استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من أربع , منها (نفس لا تشبع) (الترمذى : 2013 ، 1164) . يتضح مما سبق قوة المؤشر المعنوى وضرورته لقياس حقيقى للتنمية البشرية , إذ لا ينفع كثرة مال مع حرص وشَرَه وعدم قناعة . ولذلك كانت فتنة الغنى , الحرص على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حله ويمنعه من واجبات إنفاقه . وفتنة الفقر , هو الفقر الذى يوقع صاحبه فى الحرام أو فقر النفس الذى لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها (ابن حجر : 11 /177) .

2/ مؤشر توجيه الفقر :

وهو يعبر عن كيفية تعامل المسلم مع ما ينزل به من فقر وحسن تعامله مع المصيبة إذا وقعت عليه . وفيه الحديث أن (من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقته , ومن نزلت به فاقة , فأنزلها بالله , فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل (الترمذى : 2013 ، 855) . فالفاقة الفقر وضيق المعيشة . فمن عرضها على الناس بطريق الشكاية ليزيلوها , لم تُزَل . ومن اعتمد فى إزالتها على الله , أغناه إما بموت عاجل أو

غنى آجل (المباركفورى : 2001 ، 509/6) . على هذا فإن المسلم لا ينسب سبب فقره إلى الناس , كما لا ينسب الناس الأزمات المعيشية إلى القائمين بأمر الاقتصاد فى دولهم . والمقصود عدم الهَمّ فى أمر الدنيا ومعايشها والرضا بما قضى الله وتجنب السخط , كما فى الحديث الآخر (من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له , ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله , ومن شقاوة ابن آدم سَخَطه بما قضى الله له) (الترمذى : 2013 ، ص 809) . فالرضا والسخط والهَمُّ مؤشرات معنوية مهمة لقياس رفاهية الفرد المسلم ومدى تمتعه بحياة توصف بهدوء البال والأمن النفسى . وقد أرشدنا النبى صلى الله عليه وسلم إلى القول الطيب فى مثل هذه الأحوال بأن ندعو (اقضِ عنى الدَّين وأغننى من الفقر) (الترمذى : 2013 ، ص 1164) .

ما تقدم يردنا ضرورة إلى الكلام على الزهد ونظرية الإسلام فيه , وذلك للارتباط الوثيق بالتنمية البشرية ونظرة المسلم للحياة وسلوكه فيها . وبه ختام هذا البحث .

3/3 نظرية الزهد : تأسيس للحياة الطيبة (التنمية البشرية).

يتجاوز معنى الزهد مجرد الرغبة عن الشئ وعن الدنيا , إلى صياغة كاملة للإنسان بمعناه الروحى والمادى . وقد جمع علماء الحديث طائفة من الأحاديث وأدرجوها فى كتاب الزهد , وترجموا تحته أبواباً مختلفة , يعبر جميعها عن السلوك المرضِى فى النظر إلى الدنيا والتعامل مع نِعَمها والصبر على ابتلاءاتها . وبالنظر المُتَرَوِّى فى الأحاديث التى جمعها الإمام الترمذىفى سننه – كمثال , ووحدة موضوعها (2013 :ص ص 850 – 876) , نستطيع أن نخرج بما يمكن تسميته ب" نظرية الزهد".

لقد جاء تعريف الزهد صريحاً ومحدداً وهو أن : (الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال , ولكنَّ الزهادة فى الدنيا أن لا تكونَ بما فى يديك أوثق مما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أُصبت بها أرغبَ فيها لو أنها أُبقيت لك) (الترمذى : 2013 , ص 858) . وهو واضح فى التركيز على التربية الروحية والمادية والتوازن بينهما .

تتعلق نظرية الزهد بالدار الدنيا والدار الآخرة والآمال والأعمال وأسباب تحصيل السعادة الدنيوية المبلغة إلى سعادة الآخرة . فما يحتاجه المسلم لتحصيل ذلك هو : المال والعمر واغتنام نعمة الصحة والفراغ ,والرضا بمعيشة الكفاف وحسن التوكل على الله , وقصر الأمل والهمّ على أمور الآخرة والاستحضار لأمر الموت , مع حسن الصحبة

والمخالطة للناس , والصبر على البلاء والحذر من فتنة المال . فهى عبارة عن نظرية مقدرات , ولكنها مقدرات عظيمة مرتكزها الإيمان .

تبين نظرية الزهد أن ترك المال جمعاً وانتفاعاً لا يُعدُّ زهداً وعزوفاً عن تحصيل سعادة الأبد , بل إن مرجع الزهد الحقيقى أن يكون للنفس غنى , وهى قدرة تُمَكِّنه من التغلب على شر المال وشرهه , ولا ينافى الزهد أخذ المال من حله غير مستشرف له .

إن عمدة الزهد وأصوله اثنان : مكاره مطلوب تركها ومحاب مطلوب تحصيلها . أما الصفات التى هى مكاره : فمنها ما هو مادى ومنها ما هو معنوى . فالمادى وهو المتعلق بالبدن :كثرة الأكل , حتى ضبطه الشرع بالثلث . والمعنوى المستكره من الخصال كالرياء والسمعة والإثم والمدح وحب المال والحرص عليه .

أما الصفات الفاضلة المطلوب التخلق بها, فمعنوية كلها, وبعضها معنوى مادى. فالمعنوية : حب الله وحسن الظن فيه, وحب الناس وحفظ اللسان, وأخذ المال من الحلال. والذى يجمع بين المعنوى والمادى : البِرّ , فقد يكون محسوساً كإنفاق المال , وقد يكون غير محسوس كإرشاد الناس ونصحهم .

إن نظرية الزهد , كما أسميناها , نظرية متكاملة للحياة , تضع فى الاعتبار الأمدين – أمد الدنيا وأمد الآخرة وتربط بينهما بطائفة من الأعمال القولية والقلبية والبدنية . كما تجمع بين الأهداف الدنيوية والأهداف الأخروية . فهى تنمية للبشر على الحقيقة .

إن الزهد لا يكون فى الإنتاج والعمل , وإنما يكون فى الإنفاق فيما لا يحل . والزهد على الحقيقة يكون مع القدرة والغنى (المصرى : 2005 , ص 102) . وقد حمل آدم سميث على من يظنون أن السعادة تكمن فى جمع الثروة . فى اعتقاده أن سعادة المرء فى ثلاثة أشياء : الأول : الصحة , الثانى : قوت يومه (غير مَدِين) , الثالث : الضمير الحى . وهو بلا شك عين حديث النبى صلى الله عليه وسلم المارّ فى مفهوم التنمية البشرية . ثم يقول سميث بما ينبئ عن فلسفته الزهدية : " الكفاية قبضة يد " , أى ما يكفى الإنسان هو مقدار ما يُبقى على حياته . ويقول : أن الفقراء هم الذين يمتلكون السعادة الحقيقية وليس الأغنياء , لأن الغنى يهمه جذب اهتمام الناس إليه , والفقير بعكسه خَجِل من فقره , ولكنه يملك الأمن الذى يقاتل من أجله الملوك (عمر : 2003 , ص 118) . وهذا الكلام لا يخرج شئ منه عن خصال الإسلام وماجاء عن السلف الكرام . وهو يؤكد ما ذكرناه من ارتباط تنمية البشر بالروح والمادة .

على ذلك يمكن القول بأن الزهد آلية ووسيلة لتحقيق الحياة الطيبة , مع عدم إغفال المعينات الأخرى من اعتماد الإنسان على غيره فى تحصيل وسائل عيشه .

المراجع

1- ابن بطال , أبو الحسن على بن خلف بن عبد الملك (2003).شرح ابن بطال على صحيح البخارى . بيروت : دار الكتب العلمية .

2- ابن حجر , أحمد بن على (2012) . الإصابة فى تمييز الصحابة . بيروت : المكتبة العصرية .

3- ابن حجر , أحمد بن على (د.ت) . فتح البارى شرح صحيح البخارى . بيروت : دار الفكر .

4- ابن جرير , أبو جعفر محمد (2008) . جامع البيان عن تأويل آى القرآن . القاهرة : دار ابن الجوزى .

5- ابن عطية , أبو محمد عبد الحق (2007) . المحرر الوجيز . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – إدارة الشؤون الإسلامية .

6- ابن كثير, إسماعيل بن عمر (1999). تفسير القرآن العظيم . : دار طيبة .

7- أبو عبيد , القاسم بن سلام (1986) . كتاب الأموال . بيروت : دار الكتب العلمية .

8- الترمذى , أبو عيسى محمد بن عيسى (2013) . السنن . بيروت : مؤسسة الرسالة .

9- الحكيم الترمذى , أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن (2010) . نوادر الأصول . سوريا : دار النوادر .

10- الخطابى , أبو سليمان بن حمد بن محمد (2010) . معالم السنن . الرياض : مكتبة المعارف .

11- عبد الوهاب , على بن نصر (2007) . شرح الرسالة . بيروت : دار ابن حزم .

12- عبد الوهاب , على بن نصر (1998) . المعونة على مذهب عالم المدينة . بيروت : دار الكتب العلمية .

13- عمر , محمد أحمد (2005). الوجيز فى علم الاقتصاد الإسلامى. الخرطوم: جى تاون .

14- عمر , محمد أحمد (2003) . الوسيط فى تاريخ الفكر الاقتصادى الوضعى والإسلامى . الخرطوم : جى تاون .

15- الغزالى , أبو حامد محمد بن محمد بن محمد (2013) . إحياء علوم الدين . بيروت : دار الكتاب العربى .

16- القرافى , شهاب الدين أحمد بن إدريس (1994) . الذخيرة . بيروت : دار الغرب الإسلامى .

17- القرطبى , أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (2006) . الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآى الفرقان . بيروت : مؤسسة الرسالة .

18- الكرمانى , شمس الدين محمد بن يوسف (2010) . الكواكب الدراريفى شرح صحيح البخارى . بيروت : دار الكتب العلمية .

19- المباركفورى , أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (2001) . تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى . بيروت : دار الكتب العلمية .

20- مسلم , أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم (2000) . صحيح مسلم . الرياض : دار السلام .

21- المصرى , رفيق يونس (2005) . أصول الاقتصاد الإسلامى . دمشق : دار القلم .

22- النووى , محيى الدين يحيى بن شرف (2003) . شرح النووى لصحيح مسلم . الرياض : دار عالم الكتب .

-23 About Human Development , access : 03.12.1014,Wed , 05:30 pm, from : http://www.hdr.undp.org/en/human development .

-24 Human Development Index , access : 03.12.2014, Wed ,09:30 pm , from: http://www.hdr.undp.org/en/content/human-development-index-hdi .

-25 Measure of America , access : 04.12.2014, Thu , 09:00 pm , from : http:// measure of America.org/human development .

-26 What is human development , access : 04.12.2014, Thu , 07:05 pm , from : http://www.wisegeek.com .

-27 Wikipedia Human Development Index , access : 04.12.2014 , 05:20 pm, from : http://en.wikipedia.org/wiki/Human.Development .